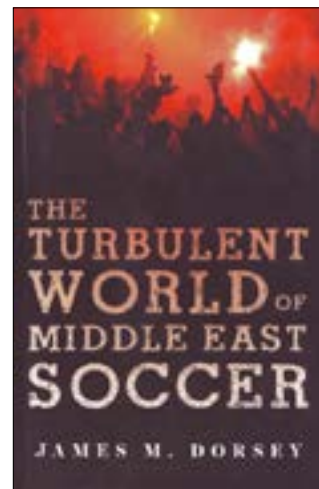


نبض الملاعب

كرة القدم في الشرق الأوسط: الرياضة أفيون الشعوب؟

تثبيت سلطة الحاكم، وإلهاء الشعب عن مشاكله الاقتصادية والاجتماعية، والتحريض المذهبي والطائفي، وإثبات هوية وطنية! تلك بعض الأهداف التي يتطلع إليها الحكام خلال استغلالهم للعبة الرياضية الأكثر شعبية في العالم. عمل موسوعي ضخم يقدمه الصحفي جيمس دورسي في كتابه *The Turbulent World of Middle East Soccer* الذي لا يستثنى أيًا من دول الشرق الأوسط ومشيخاته، من إيران شرقاً إلى المغرب غرباً، ومن سوريا شمالاً إلى اليمن جنوباً



يزاد هنا

جيمس دورسي، صحفي وصاحب عمود في بعض أشهر صحف المؤسسة الأميركية الحاكمة، وأستاذ محاضر في «أرجارنتام سكول أف إنترناشيونال ستديز» التابعة لجامعة «نانيانغ» في سنغافورة، إضافة إلى كونه مديراً مشاركاً في «كلية فرستبورغ لثقافة المشجعين»، وأستاذاً محاضراً في معهد العلوم الرياضية التابع لها.

موضوع كتابه الجديد «عالم كرة القدم المضطرب في الشرق الأوسط» *The Turbulent World of Middle East Soccer* الصادر عن «هورست أند كو» (لندن 2016) هو أن كرة القدم في الشرق الأوسط - مع تحفظنا على هذا المصطلح الاستعماري - تؤدي أدواراً عديدة، إضافة إلى كونها رياضة. الأندية والمشجعون وخصوصاً الألتراس، واللاعبون لكن إلى درجة أقل بكثير، جميعهم يوظفون اللعبة والملاعب في بلدانها، من المغرب العربي إلى إيران وتركيا، سياسياً بهدف تحقيق أهداف ليست بكروية، بالمعنى المجازي.

والساسة في بلاد الشرق الأوسط كافة، يوظفون اللعبة لتحقيق سياسات ومكاسب مادية ومعنوية، إضافة إلى توظيف الأندية لمهاجمة بعضهم بعضاً. فالزعيم الليبي المغدور القذافي قال: «إن لاعبي الفريق السعودي عبيد ابتاعتهم المملكة من إفريقيا»!!

تؤدي لعبة كرة القدم أدواراً أخرى لا-رياضية يستخدمها السياسيون للتحريض المذهبي والإثني والديني كما سنرى لاحقاً. لكن الملاعب تمارس دور ساحة تصفية حسابات كما حدث في ماسي الملاعب وأخرها كان عام 2012 في بورسعيد.

الحقيقة هي أن كرة القدم ارتبطت منذ بدايتها في الدول العربية في القرن التاسع عشر، بالسياسة. الزعيم المصري يوسف عرابي أسس «نادي الأهلي» عام 1907، فريقاً وطنياً مصرياً معادياً للاستعمار، رداً على منع سلطان الاحتلال البريطاني المصريين من المشاركة في الفرق البريطانية. لهذا عدّ هذا الفريق رمزاً للوطنية ومعاداة

الاستعمار، وربما هذا ما دعا الرئيس جمال عبد الناصر إلى ترؤس النادي بعد حركة 23 يوليو، بينما تسلم مشير الهزائم المنتصر، عبد الحكيم عامر، رئاسة «نادي الزمالك» الذي أسس رمزاً للملكية وللاحتلال وداعماً للاستعمار. هذا مثال واحد من أمثلة عديدة يوردها الكاتب من مختلف الدول العربية، إضافة إلى إيران وتركيا، تعكس الدور الذي تمارسه لعبة كرة القدم، والمشجعون، العاديون أو الألتراس، في السياسية والمجتمع. قبل ذلك، لا بد من التذكير بأن ملاعب كرة القدم في الدول الأوروبية تستخدم أيضاً لأدوار غير رياضية. هتافات بعض المشجعين، المتعصبين، في دوري الأندية القومية، تعكس حالات إحباط ومواقف عنصرية، تؤدي في نهاية الأمر إلى حدوث ماس كما حصل في بلجيكا وفي بريطانيا في ثمانينيات القرن الماضي، ولا ننسى أن حرباً اندلعت بين السلفادور وكوستاريكا بسبب مباراة كرة قدم. نورد هذا فقط للتذكير ونعود إلى موضوع المؤلف.

الرياضة - على نحو عام - تعدّ سلاحاً في يد الحكومات، لكنه قد ينقلب ضدها، دوماً حسب الكاتب. قيام حكومة البحرين الكاركتورية بإقامة سباق الـ «فورمولا ون» للسيارات، كان هدفاً التغطية على الاحتلال السعودي وقمعها للتحركات الشعبية هناك، لكن الصحافة الأجنبية ركزت على وحشية القوات الحكومية في مواجهة المتظاهرين بدلاً من تغطية سباق السيارات.

أما انتخاب سلمان بن إبراهيم آل خليفة، وهو من العائلة الحاكمة، رئيساً للاتحاد الآسيوي لكرة القدم، فقد أنتج عاصفة من الاحتجاجات العالمية، ذلك أنه متهم بالمشاركة في اعتقال الرياضيين البحرينيين وتعذيبهم.

كما أمرت محكمة بريطانية في تشرين الثاني (نوفمبر) 2014 برفع الحصانة الدبلوماسية عن «الأمير» البحريني ناصر بن حمد آل خليفة المتهم باعتقال مئات المسؤولين الرياضيين والرياضيين في البحرين بمن فيهم بعض أعضاء فريق كرة القدم الوطني. أما فوز قطر باستضافة بطولة العالم لكرة القدم في عام 2022، فقد قاد إلى حملة شرسة عليها وعلى النظام وعلى الفساد هناك، وشراء الأصوات وأدى - ضمن أمور أخرى - إلى استقالة بن همام من الـ «فيفا»، ومُنِع من ممارسة أي عمل فيها مدى الحياة، وفق ما يرد في الكتاب. كما أطلقت سويسرا في أيار (مايو) عام 2015 تحقيقاً قضائياً في نزاهة حصول قطر على حق استضافة البطولة العالمية عام 2022.

ذلك الفوز قاد إلى حملة عليها بالعلاقة مع كيفية معاملتها العمالة الأجنبية، مع أن شيئاً لم يختلف في الموضوع عن الحالة التي كانت قائمة قبل ذلك الفوز، وسنعود إلى هذه المسألة لاحقاً.

اللجنة الأولمبية العالمية اغتنمت التثام الألعاب الأولمبية في لندن لإجبار ثلاث دول وهابية هي السعودية وقطر وبروناي على الانصياع لقوانين الألعاب التي تمنع التمييز بين الجنسين. توظيف لعبة كرة القدم والملاعب تأخذ - وفق الكاتب - أشكالاً عدة منها: تثبيت سلطة الحاكم وإلهاء الشعب عن مشاكله الاقتصادية والاجتماعية؛ التظاهر ضد الحاكم ومظاهر الفساد في النظام والدولة؛ الدعوة الفكرية عبر استخدام الملعب واللعبة دينياً ولتثبيت دور الدين، إما تأييداً للعبة أو لمحاربتها. كما استخدمت الملاعب واللقاءات للتحريض على فئة من المواطنين كما نرى في جمهور النادي الفيصلي الشرق أردني تجاه الفلسطينيين، ولنا عودة لاحقاً إلى هذا. أخيراً وليس آخراً، هناك عامل استخدام الرياضة على نحو عام، ولعبة كرة القدم خصوصاً لإثبات هوية وطنية كما تفعل قيادات ميليشيا مبنى المقاطعة في رام الله، وأخرى طائفية أو مذهبية؛ إضافة إلى ما سبق، يوضح الكاتب أن كثيراً من حكام العرب استخدموا رئاسة النوادي لمنح أنفسهم صفة أبوة الشعب وراعي العائلة؛ يوسف عرابي عد المصريين أبناءه، وزوجه مارست الدور ذاته كأم للمصريين

البحرين بمن فيهم بعض أعضاء فريق كرة القدم الوطني. أما فوز قطر باستضافة بطولة العالم لكرة القدم في عام 2022، فقد قاد إلى حملة شرسة عليها وعلى النظام وعلى الفساد هناك، وشراء الأصوات وأدى - ضمن أمور أخرى - إلى استقالة بن همام من الـ «فيفا»، ومُنِع من ممارسة أي عمل فيها مدى الحياة، وفق ما يرد في الكتاب. كما أطلقت سويسرا في أيار (مايو) عام 2015 تحقيقاً قضائياً في نزاهة حصول قطر على حق استضافة البطولة العالمية عام 2022.

ذلك الفوز قاد إلى حملة عليها بالعلاقة مع كيفية معاملتها العمالة الأجنبية، مع أن شيئاً لم يختلف في الموضوع عن الحالة التي كانت قائمة قبل ذلك الفوز، وسنعود إلى هذه المسألة لاحقاً.

اللجنة الأولمبية العالمية اغتنمت التثام الألعاب الأولمبية في لندن لإجبار ثلاث دول وهابية هي السعودية وقطر وبروناي على الانصياع لقوانين الألعاب التي تمنع التمييز بين الجنسين. توظيف لعبة كرة القدم والملاعب تأخذ - وفق الكاتب - أشكالاً عدة منها: تثبيت سلطة الحاكم وإلهاء الشعب عن مشاكله الاقتصادية والاجتماعية؛ التظاهر ضد الحاكم ومظاهر الفساد في النظام والدولة؛ الدعوة الفكرية عبر استخدام الملعب واللعبة دينياً ولتثبيت دور الدين، إما تأييداً للعبة أو لمحاربتها. كما استخدمت الملاعب واللقاءات للتحريض على فئة من المواطنين كما نرى في جمهور النادي الفيصلي الشرق أردني تجاه الفلسطينيين، ولنا عودة لاحقاً إلى هذا. أخيراً وليس آخراً، هناك عامل استخدام الرياضة على نحو عام، ولعبة كرة القدم خصوصاً لإثبات هوية وطنية كما تفعل قيادات ميليشيا مبنى المقاطعة في رام الله، وأخرى طائفية أو مذهبية؛ إضافة إلى ما سبق، يوضح الكاتب أن كثيراً من حكام العرب استخدموا رئاسة النوادي لمنح أنفسهم صفة أبوة الشعب وراعي العائلة؛ يوسف عرابي عد المصريين أبناءه، وزوجه مارست الدور ذاته كأم للمصريين

الرياضة - على نحو عام - تعدّ سلاحاً في يد الحكومات، لكنه قد ينقلب ضدها، دوماً حسب الكاتب. قيام حكومة البحرين الكاركتورية بإقامة سباق الـ «فورمولا ون» للسيارات، كان هدفاً التغطية على الاحتلال السعودي وقمعها للتحركات الشعبية هناك، لكن الصحافة الأجنبية ركزت على وحشية القوات الحكومية في مواجهة المتظاهرين بدلاً من تغطية سباق السيارات.

أما انتخاب سلمان بن إبراهيم آل خليفة، وهو من العائلة الحاكمة، رئيساً للاتحاد الآسيوي لكرة القدم، فقد أنتج عاصفة من الاحتجاجات العالمية، ذلك أنه متهم بالمشاركة في اعتقال الرياضيين البحرينيين وتعذيبهم.

كما أمرت محكمة بريطانية في تشرين الثاني (نوفمبر) 2014 برفع الحصانة الدبلوماسية عن «الأمير» البحريني ناصر بن حمد آل خليفة المتهم باعتقال مئات المسؤولين الرياضيين والرياضيين في البحرين بمن فيهم بعض أعضاء فريق كرة القدم الوطني. أما فوز قطر باستضافة بطولة العالم لكرة القدم في عام 2022، فقد قاد إلى حملة شرسة عليها وعلى النظام وعلى الفساد هناك، وشراء الأصوات وأدى - ضمن أمور أخرى - إلى استقالة بن همام من الـ «فيفا»، ومُنِع من ممارسة أي عمل فيها مدى الحياة، وفق ما يرد في الكتاب. كما أطلقت سويسرا في أيار (مايو) عام 2015 تحقيقاً قضائياً في نزاهة حصول قطر على حق استضافة البطولة العالمية عام 2022.

ذلك الفوز قاد إلى حملة عليها بالعلاقة مع كيفية معاملتها العمالة الأجنبية، مع أن شيئاً لم يختلف في الموضوع عن الحالة التي كانت قائمة قبل ذلك الفوز، وسنعود إلى هذه المسألة لاحقاً.

أما هتافات مشجعي «نادي الوحدات» الذي يستمد اسمه من أكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين جنوب العاصمة عمان، فلا تخلو من التسييس ومنها: «الله، وحدات، القدس عربية، بطل الأردن والصفة الغربية» و«فيصلي عديم ومالات والدوري أخضر للوحدات».

وقد ورد في مواقع التواصل الاجتماعي على ذلك بالهتاف: «القدس يهودية»!! كما امتدت هتافات بعض مشجعي فريق «الوحدات» لتصبح قومية عبر الهتاف «الشعب المصري شو أخبارك، العرص السيسي زي مبارك»!!

أما عن مصر، فحدث ولا حرج. لذا سنكتفي هنا بالإشارة إلى هتافات فريق «الأهلي» و«الزمالك» المصريين التي تعكس مدى انحراط المشجعين وإدخال اللعبة والمباريات في الوضع السياسي:

من هتافات التراس «الأهلي»: «قولناها زمان للمستبد الحرية جاية لا بد ليبيرتا كانت مكتوبة يا حكومة بكرة هتعرفي بأدين الشعب هتنضفي والآية الليلة مقبولة قالوا الشغب في دمننا وازاي بنطلب حقنا يا نظام غبي افهم بقى مطلبي حرية حرية حرية حرية»

أفهم بقى ارحل بقى سقط الطاغوت حرية حرية حرية».

أضف إلى ذلك تخصيص أغنية خاصة لفلسطين وهتافات «بالروح بالدم نفديك يا فلسطين».

هتافات وأغانى التراس «وايت نايتس» الزمالية تتناول أيضاً أموراً سياسية ومنها أغنية «فلسطين الأرض العربية» التي رد عليها مشجعو الفريق من الفلسطينيين بأغنية خاصة في مديح النادي المصري.

ووجب عدم نسيان كيف أن مباراة بين الجزائر ومصر قادت إلى أخط التبادل بين مشجعي الفريقين شارك فيها بعض النخب والسياسيين،

أسس الزعيم يوسف عرابي «نادي الأهلي» عام 1907، فريقاً وطنياً مصرياً معادياً للاستعمار

بعض مشايخ آل سعود كَفَرُوا بممارسي اللعبة، حتى أنّ ثلاثة لاعبين انضموا إلى «الجهاد» في العراق

السحر والكذب والخيانة) عميل الاستخبارات البريطانية الحسين بن علي. وتندلع اشتباكات مستمرة بين مشجعي هذا الفريق ومشجعي فريق «الوحدات» الفلسطيني، إضافة إلى الهتافات العنصرية، وتلك التي تمس الملكة رانيا شخصياً ومنها: «ياجو حسين طلقها بنعطيك منا ثنتين»!!

وقد كشفت وثائق «ويكيليكس» عن الاضطراب الذي أصاب الأردن بسبب هذه الحوادث، علماً بأن نظام عمان حل «نادي الوحدات» عام 1986 بسبب هتافات مشجعيه ضد الملك والملكية، إلا أنه عاد وسمح له بالعودة إلى النشاط في عام 1991.